

التفاوت في الصوائت العربية

سعيد شواهنة(*)

ملخص:

يؤسس هذا البحث إلى إضاءة التباين بين الحركات العربية، من حيث الكم، والتأثير والإنتاج. ويلقي الضوء على ماهية الحركات العربية والعلائق المختلفة بين الحركات، ويجيب عن عدة تساؤلات منها: هل الحركات في العربية متساوية من حيث الكم؟ هل الحركات العربية متساوية في الطبيعة الإنتاجية؟ هل الحركات العربية متساوية في تأثيرها في غيرها من الصوامت، أو الصوائت؟ ويؤسس لبيان أثر الحركات من حيث القوة والضعف وأثرهما في تفسير السلوكات الصرفية، موظفا معطيات علم الأصوات الحديث. ويركز البحث على دور الحركات العربية في التشكلات البنيوية للوحدات اللغوية الخاضعة للقوانين الصرفية عند علماء اللغة القدامى.

الكلمات المفتاحية: الحركات العربية، الصوامت، الصوائت.

Disparity in Arabic Phonetics

Saeed Shawaahni

Abstract: This research sheds light on the disparity among Arabic articulatory system, the manner and rules of sound production in terms of quantity, effects, and production and endeavors to uncover the nature of the system and the different relationships among them. The research tries to answer the following questions: Are the Arabic articulatory system elements equal quantitatively? Are the Arabic articulatory system elements equal in their productive nature? Are the Arabic articulatory system elements equal in affecting the others like the silent sound and harkat (vowels) in Arabic sounds?

Keywords: Arabic articulatory, silent sound, harkat (vowels).

(*) قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، saeed_shawaahni@yahoo.com

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين محمد بن عبد الله الأمي ، ومن سار على نهجه
وسنته إلى يوم الدين وبعد ؛

فالمنظومة الصوتية العربية تنقسم على ثلاثة أقسام رئيسة هي : الصوامت والصوائت وأنصافهما ، والمعيان الرئيس في هذا
التقسيم هو الطبيعة الإنتاجية ، ويركز هذا البحث على قضية فرعية لتقسيم رئيس من أقسام المنظومة الصوتية وهو الصوائت في
العربية والتباين القائم بينها من حيث الكمية ، والإنتاج ، والتأثير ، والصوامت في العربية ليست على وتيرة واحدة ، بل إن التباين
فيما بينها يعطيها ميزة تفصيلية ، وهناك معايير تساعد على تصنيف الصوامت العربية منها : زمن النطق ، والطبيعة الإنتاجية ،
والطبيعة التأثيرية ، ويناقش هذا البحث معايير التفاوت وأثرها في تصنيف الصوائت وتوصيفها.

الدراسات السابقة:

لقد عثرت على شذرات متناثرة هنا وهناك في كتب الأقدمين ورؤى المحدثين ممن يهتمون في هذا المجال ، ولكن لم أجد
دراسة منفردة تناولت الصوائت العربية من هذا المنظور بشموليته وإنما هناك دراسة قام بها زيد القرالة وهي بعنوان "الحركات في
العربية دراسة إكوسيتيكية" وهي من الدراسات الجادة واعتمد صاحبها على المختبرات الصوتية ، وتناول فيها التفاوت الكمي في
الحركات الناجم عن مجاورة الصوامت بحسب صفاتها دون أن يتطرق إلى التفاوت الإنتاجي والتأثيري ، فجاء هذا البحث ليسبر غور
الموضوع بكلية. وقد سرت في هذا البحث على المنهج الوصفي التاريخي ، ذلك لأن طبيعة الدراسة تطلب ذلك.

أولا -التفاوت الكمي : يعتمد التفاوت الكمي في الصوائت العربية على زمن نطق الصائت وقد تنبه القدماء إلى هذا المعيار وأطلقوا
عليه البعوضة فابن جني يقول : "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين" ^(١) .وتقسم الحركات حسب هذا المعيار إلى قسمين :
حركات قصيرة وحركات طويلة.

١ -الحركات القصيرة

يرى جل العلماء القدامى والمحدثين أن عدد الحركات القصيرة في العربية ثلاث ، وهي الفتحة والكسرة والضمة. يقول ابن
جني في إشارته لعدد الحركات القصيرة ومقابلاتها الطويلة : " فكما أن هذه الحروف ثلاثة ، فكذلك الحركات ثلاث ، فهي الفتحة
والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو " ^(٢)

وتحدث في باب " في مضارعة الحروف للحركات والحركات للحروف " ، إذ يقول : " وسبب ذلك أن الحركة حرف صغير ،
ألا ترى أن متقدمي القوم من كان يسمى الضمة الواو الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة ، والفتحة الألف الصغيرة " ^(٣)

وقد اعتمد القدماء على معيار الكمية في تقسيم الحركات إلى قصيرة وطويلة إضافة إلى معيار الحجم كما ورد عند ابن
جني ، والفارق بين الحركات القصيرة والطويلة يكمن في زمن نطق الحركة.

الكمية الزمانية في الحركة القصيرة : ١ - حركة قصيرة + مجهور أو مهموس

يبدو أن الكمية الزمنية لنطق الحركات القصيرة ليست متساوية ، فهناك تفاوت بين الحركات القصيرة في زمن نطقها
وتخضع لما تجاورها من أصوات. وقد تنبه علماء اللغة إلى هذه الخاصية في الحركات المتولدة من تأثير الصوامت المجاورة لها : يقول
داود عبده " العلة الواقعة قبل صحيح مجهور تكون أقوى من نظيرتها الواقعة قبل صحيح غير مجهور " ^(٤)

وللوقوف على هذا الرأي أجرى زيد القرالة تجربة مخبرية على الفتحة القصيرة الواقعة بعد صوت الكاف في كلمة كتب
kataba فتبين أن كميتها تصل إلى ٧,١٠٪ من الثانية وهذه الحركة متبوعة بصوت التاء وهو صوت وقفي مهموس وعند قياس

كمية الفتحة الواقعة بعد صوت الكاف في كلمة كدر *kadara* فقد تبين أن كميتها تصل إلى ٨٪ من الثانية وهذه الحركة متبوعة بصوت الدال وهو صوت وقفي مجهور، وقد أثبت أن الحركة المتبوعة بصامت مجهور أطول من الحركة المتبوعة بصامت مهموس^(٥)

ويبدو أن سبب طول الحركة مع الصوت المجهور ناجم عن توافق الصفة بين الحركات التي تتسم بصفة الجهر والصوت المجهور التابع لها، بمعنى أنه لا يوجد زمن مفقود للانتقال من حالة إلى حالة أي من جهر إلى همس بل هنا توحد في الصفة فالانتقال من الجهر إلى همس يحتاج إلى زمن مفقود وهذا الزمن المفقود يستغرقه الوتران الصوتيان في التحول من الاهتزاز إلى عدمه.

الحركات القصيرة + مجهور ↑ أطول

+ مهموس ↓ أقصر

٢ - حركة قصيرة + انفجاري أو احتكاكي مجهور أو مهموس

تتأثر كمية الحركة بطبيعة الصوت اللاحق لها، من حيث كونه استمرارياً أو وقفياً بمعنى أن يكون الصامت اللاحق انفجارياً أو احتكاكياً يقول مالبرج: "إن كمية الحركة تعتمد على الساكن التالي لها، فالحركة إذا تلاها ساكن احتكاكي أطول منها إذا تلاها وقفي"^(٦)

ولإثبات هذا الرأي أجرى القرالة تجربة مخبرية على الكسرة القصيرة المتبوعة بصامت وقفي مجهور والمتبوعة بصامت استمراري مجهور تبين أن الحركة المتبوعة بصامت استمراري مجهور أطول من المتبوعة بصامت وقفي مجهور، والحركة المتبوعة بصامت احتكاكي مهموس أطول من المتبوعة بصامت انفجاري مهموس^(٧)

ويمكن تفسير هذا التفاوت بين الحركة القصيرة حسب ما يجاورها من صوامت بأن الاحتكاك يجعل الصوت مستمرا دون توقف يؤدي إلى طول الحركة، في حين أن انحباس تيار الهواء خلف العضوين المنتجين للصوت الانفجاري يؤدي إلى وقف الزمن أي أن هناك زمنا متوقفا ثم بعد ذلك ينفصل العضوان مرة واحدة سريعة مما يؤدي إلى تلاشي الحركة مع قوة انفجار الصوت، وقد أشار داود عبده إلى الصامت الاستمراري اللاحق للحركة وأثره في زيادة كميتها^(٨).

ويمكن بيان كمية الحركات القصيرة حسب ما يتلوها من صوامت حسب هذه المخططات

حركة قصيرة + مج ← أطول

= + مه ← أقصر

حركة قصيرة + احتكاكي مجهور ← أطول

= + انفجاري مجهور ← أقصر

حركة قصيرة + احتكاكي مهموس ← أطول

= + انفجاري مهموس ← أقصر

الكمية الزمنية بين الحركات القصيرة والطويلة :

تختلف الحركات الطويلة عن القصيرة في كون الزمن الذي يستغرق في إنتاجها أطول نسبياً، أي زمن نطق الحركات الطويلة أكبر من زمن نطق الحركات القصيرة، واللغة العربية تشتمل على مقابلات ثلاث للحركات القصيرة وهي الفتحة الطويلة (aa) والكسرة الطويلة (ii) والضممة الطويلة (uu).

لقد اختلف المحدثون في كمية الحركات الطويلة إلى الحركات القصيرة فيذهب إبراهيم أنيس إلى أن كمية الحركات الطويلة تساوي ضعف القصيرة حيث قال: "واللغويون عادة يقسمون أصوات اللين إلى نوعين فقط، قصير وطويل، فالفتحة مطلقاً صوت لين قصير، فإذا أصبحت ما يسمى بالألف الممدودة فهي صوت لين طويل والفرق عادة بين الفتحة الطويلة والقصيرة هو أن الزمن الذي تستغرقه الأولى ضعف ذلك الذي تستغرقه الثانية:"^(٩)

ويؤيده الرأي محمد جواد النوري حيث يقول: "تختلف هذه الحركات عن سابقتها الحركات القصيرة في كونها الزمن الذي يستغرقه أطول نسبياً"^(١٠)

ويذكر أحمد الحموا أنه: "... وقد استقر حالياً أن المصوت الطويل يعادل ضعف المصوت القصير وأن الحركة من حيث زمنها نصف زمن حرف المد"^(١١)

غير أننا نجد من العلماء من ذهب إلى تفاوت الكمية بين القصيرة والطويلة حسب الأصوات المجاورة ومنهم إبراهيم أنيس نفسه الذي جزم في أن زمن الحركة الطويلة يساوي ضعف الحركة القصيرة نجده في موضع آخر يذكر التفاوت بين الحركات حيث يقول "أصوات اللين الطويلة قد يزداد طولها ضعفاً أو ضعفين حين يليها همزة أو صوت مدغم"^(١٢)

ويذكر في موضع آخر "والصوت اللغوي قد يتأثر من حيث طولها بما يجاوره من الأصوات ومما لاحظته المحدثون أن صوت اللين يزداد طولاً إذا وليه صوت مجهور"^(١٣)

ولم يغب هذا الرأي عن فكر القدماء فقد وجدنا ابن جني في باب في مطل الحروف، تماضي كمية الحركات عندما تكون متبوعة بهمزة أو صوت مضعف يقول "إلا أن الأماكن التي يطول فيها صوتها وتتمكن قوتها وهي أن تقع بعدها... الهمزة أو الحرف المشدد"^(١٤)

وورد عند ابن سينا تصور يفوق من وجهة نظرنا تصور بعض المحدثين الذين يجزمون باستقرار كمية الحركة الطويلة إلى القصيرة حيث يقول: "ثم أمر هذه الثلاثة علي مشكل ولكنني أعلم يقيناً أن الألف الممدودة المصوتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة، وأن الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي يصح فيها الانتقال من حرف إلى حرف، وكذلك نسبة الواو المصوتة إلى الضمة والياء المصوتة إلى الكسرة"^(١٥)

ويعد رأي ابن سينا أدق من رأي بعض المحدثين ومنهم الحموا وصالح الدين حسنين الذي أشار الأخير إلى أن كمية الحركات الطويلة تساوي ضعف الحركات القصيرة"^(١٦)

وقد قام القرالة بدراسة اعتمد فيها على التجارب المخبرية في تحديد كمية الحركة الطويلة إلى القصيرة، ويعد رأي من أدق الآراء لأنه أجرى تجاربه على عينات لغوية مختلفة وخلص إلى نتائج رقمية ومما توصل إليه:

١ - لا تنحصر كميات الحركات الطويلة في ضعف كمية الحركات القصيرة بل تقع في ضعفها في مواطن، ويتجاوز ضعفها في مواطن أخرى، ونسبة زيادة كمية الحركات الطويلة عن ضعف كمية الحركات القصيرة أغلب وأشمل من نسبة حصرها في الضعف.

٢ - تتفاوت كمية الحركات تبعاً للملامح الصوامت المجاورة وخاصة الصوامت اللاحقة وذلك من حيث الجهر والهمس والانفجار والاحتكاك والتضعيف وعدمه."^(١٧)

إن ما ذهب إليه المحدثون في كمية الحركات الطويلة إلى مقابلاتها القصيرة فيه نظر، ويدعوننا إلى القول إن كمية صوت المد الطويل تساوي أو يمكن أن تساوي ضعف القصير في حالة التجرد والانفراد، ولكن هذه الكمية لا يمكن أن تنطبق على هذه الأصوات غي حالة مجاورتها للأصوات الأخرى، فصوت المد يطول أو يقصر حسب ما يأتي بعده من أصوات، وطبيعة الصوت التالي هو الذي يحدد طول صوت المد.

الكمية الزمنية في الحركات الطويلة

إن ما ينطبق على الحركات القصيرة ينطبق على الحركات الطويلة ، بمعنى أن هناك تباينا في زمن نطق الحركات الطويلة ، والذي يولد هذا التباين الأصوات اللاحقة للحركات الطويلة والمخطط الآتي يبين هذا التفاوت :

حركة طويلة + مجهور ← أطول

= + مهموس ← أقصر

حركة طويلة + احتكاكي مجهور ← أطول

= + انفجاري مجهور ← أقصر

حركة طويلة + احتكاكي مهموس ← أطول

= + انفجاري مهموس ← أقصر

حركة طويلة + صوت مضعف ← أطول

= + صوت عادي ← أقصر

حركة طويلة + همزة ← أطول

= + صوت عادي ← أقصر

وقد علل ابن جني سبب إطالة حرف المد مع المضعف والهمزة بقوله : وأما سبب نعمتهن ووجائهن وتماديهن إذا وقع المشد بعدهن فلأنهن - كما نرى - سواكن ، وأول المثليين من التشديد ساكن ، فيجفو عليهم أن يلتقي الساكنان حشوا في كلامهم فحينئذ ما ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليها ، فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها ، عوضا مما كان يجب لالتقاء الساكنين من تحريكها ، إذ لم يجدوا عليه تطرقا ، ولا بالاستراحة عليه تعلقا ، وذلك نحو شابة ودابة " (١٨).

أما إبراهيم أنيس فقد ذهب إلى عكس ذلك حيث يرى أن أصوات المد تقصر عندما يليها صوتان ساكنان يقول : وهذا نفس السر في إطالة صوت اللين حيث يليه صوت مدغم لأن طبيعة اللغة العربية ونسجها يلتزم قصر أصوات اللين الطويلة حيث يليها صوتان ساكنان فحرصا على صوت اللين وإبقاء على ما فيه من طول ، بولغ في طوله لثلاث تصبيبه تلك الظاهرة التي شاعت في اللهجات العربية قديمها وحديثها ، من ميل صوت اللين إلى القصر حين يليه صوتان ساكنان " (١٩).

ويرى القرالة أن العلة في إطالة صوت اللين المتبوع بصامت مضعف يعود إلى الوضعين التي تأخذهما أعضاء النطق عند النطق بالمضعف ، حيث تترى الأعضاء النطقية ، في إنتاجها للمضعف ومن هنا تتأثر الحركة السابقة بهذا التريث فتزداد كميتها مماثلة للصوت اللاحق من حيث الكمية " (٢٠).

غير أننا نرى غير ذلك ، حيث يطول الصوت لأن الصوت الذي يليه ساكن ، والسكون فيه شيء من الخفاء ، فيطول الصوت لثلاث يسيطر الخفاء على الصامت الأول في المثليين ، وفيه وقفة ثم الانتقال إلى نطق المثل الأخير.

أما سبب إطالة صوت المد مع الهمزة عند ابن جني فيعود إلى البعد المخرجي يقول : " وإنما تمكن المد فيهن مع أن الهمزة حرف نأى منشؤه ، وتراخى مخرجه فإذا نطقت في هذه الأحرف المصوتة قبله ، ثم تماديت بهن نحوه طن ، وشعن ، في الصوت فوفين له وزدن في بيانه " (٢١).

ويرى إبراهيم أنيس أن سبب إطالة صوت المد مع الهمزة يعود إلى " أن الجمع بين صوت اللين والهمزة كالجمع بين متناقضين ، إذ الأول يلزم أن يكون مجرى الهواء معه حرا طليقا ، وأن تكون فتحة المزمار حين النطق به منبسطة منفرجة ، في حين أن

النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقاً محكماً يليه انفراجها فجأة، فإطالة صوت اللين مع الهمزة يعطي المتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة التي تحتاج إلى مجهود عضلي كبير وإلى عملية صوتية تباين كل المباشنة الوضع الصوتي الذي تتطلبه أصوات اللين " (٢٢)

ورأي إبراهيم أنيس أقرب إلى الدقة العلمية إذ إن التباين الإنتاجي للصوتين يجعلنا ننطق كل صوت بطبيعته الخاصة فهذا يعطي صوت اللين مدة زمنية أطول حتى تنتهي طبيعته الإنتاجية، علاوة على تداخل أعضاء النطق في نطق الصوتين، فمخرج حروف المد من الفم وتوصيفها من الوترين الصوتيين، علاوة على أن نطق الهمزة من الحنجرة، ويتخذ الوتران الصوتيان وضعاً مغايراً أثناء نطق الهمزة، لذلك تنتهي إنتاجية صوت المد، ومن ثم تبدأ إنتاجية الهمزة، وهذا يتطلب نقل الوترين الصوتيين إلى طبيعة إنتاجية خاصة بالهمزة فيطول صوت المد.

ثانياً - التفاوت الإنتاجي:

تفاوتت الصوائت العربية في الثقل والخفة، والضمة عند العرب أثقل الحركات وصنوها الواو ثم الكسرة وصنوها الياء ثم الفتحة وصنوها الألف، وقد سادت فكرة الخفة والثقل في مضان القدماء، والثقل والخفة متولدان من رحم الإنتاج العضوي أي من ناحية نطقية.

وقد نص سيبويه على ذلك بقوله: "ومنها الهاوي وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك، وهي الألف وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها، وأخفاهن وأوسعهن مخرجاً: الألف ثم الياء ثم الواو" (٢٣)

ويذكر ابن جني أن الواو أثقل من الياء يقول: "وذلك نحو حيوان، ألا ترى أنه عند الجماعة - إلا أبا عثمان - من مضاعف الياء، وأن أصله حبيبان ولما ثقل عدلوا عن الياء إلى الواو. وهذا مع إحاطة العلم بأن الواو أثقل من الياء" (٢٤)

ويعود سبب خفة الألف (الفتحة الطويلة) إلى كون مخرجها أكثر اتساعاً يقول شارح الشافية: "لأنك تضم شفتيك للواو فيضيق المخرج، وترفع لسانك قبل الحنك للياء، وأما الألف فلا تعمل له شيئاً من هذا بل تفرج المخرج، فأوسع مخرجها الألف" (٢٥)

فالضمة وأختها الواو المدية أثقل الحركات ويليهما الكسرة القصيرة وأختها الياء المدية وأخف الحركات الفتحة القصيرة وأختها الألف لأن الألف لا تكون إلا حركة.

لقد خلط القدماء بين الواو والياء بوصفهما نصفين حركة والواو والياء بوصفهما حركتين طويلتين. ويذكر كمال بشر: "أن الواو والياء لها شبه كبير بالحركات، ولكنها تؤدي وظائف الأصوات الصامتة، ومن ثم سميت أنصاف حركات (semi vowels). أما إذا قصد بهما الواو والياء في نحو ادعو وارمي، فيكون تقديرهم غير دقيق إذ الواو والياء في هذين المثالين ونحوهما حركات صرفة... أما ذكر الألف هنا فهو خطأ على أي احتمال أردت، وذلك لأن الألف هنا ليست إلا حركة" (٢٦)

ويذكر عبد القادر عبد الجليل الوظيفة التمييزية للواو والياء فيقول: "وتظهر في التراكيب اللغوية لتحتل موقعين:

الأول: موقع الأصوات الصامتة لتقوم بوظيفتها في تشكيل الصورة الدلالية وتبادل المواقع

ولد بلد يلد جلد

↑ ← ↑ ↑ ← ↑

الثاني : موقع الصوائت الطويلة لتقوم بوظيفتها في تشكيل معالم الدلالة وتبادل المواقع :

بوق ← برق يريد ← يرفد^(٢٧)

فالقدمات لم يميزوا بين الواو بوصفها حركة والواو بوصفها نصف الحركة والياء كذلك ، فعندما تحدثوا عن الثقل والخفة ، ومزجوا بين المجموعتين الصوتيتين في مجموعة واحدة وهذا أوقعهم بالخطأ من حيث توجيه الظاهرة الصوتية التي تخضع لقوانين تشكيلية مثل القلب والحذف والمماثلة والمخالفة.

وقد فسر القدمات ظاهرة القلب في أصوات العلة حسب قانون الثقل والخفة. فعند اجتماع واوين في أول الكلمة قلبوا الواو الأولى همزة ، ولا يكون فيها إلا ذلك ، لأنهم لما استقلوا التي فيها الضمة فأبدلوا ، وكان ذلك مطردا إن شئت أبدلت وإن شئت لم تبدل ، ولم يجعلوا في الواوين إلا البديل لأنها أثقل من الواو والضمة^(٢٨)

وورد هذا عند ابن جني حيث يقول " وإذا التقت واوان في أول الكلمة لم يكن من همز الأولى بد "^(٢٩).

وفي هذه الحالة لجأ الناطق إلى التخلص من التضعيف أو اجتماع الثقيلين فلجأ إلى قلب الواو إلى همزة والهمزة ليست أقل ثقلا من الواو ولكن النسيج البنيوي للغة العربية يكره توالي المثليين في بداية البنية .

ومن التغيرات الصوتية الصرفية الناجمة عن الثقل قلب الواو ياء في كلمة واحدة مثل سيد التي أصلها سيود وقد علل سيبويه هذا القلب ليكون عملهم من وجه واحد يقول : " فالواو والياء بمنزلة الحروف التي تدانى في المخارج ، لكثرة استعمالهم إياها ، وإنه لا تخلو الحروف منها ومن الألف أو بعضهن ، فكان العمل من وجه واحد أخف عليهم ، كما أن رفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم في الإدغام "^(٣٠)

ويتحدث عن الخفة والثقل فيقول " وإنما خفت هذه الخفة لأنه ليست منها علاج على اللسان والشفة ، ولا تحرك أبدا وإنما هي بمنزلة النفس ومن ثم لم تثقل ثقل الواو عليهم ولا الياء "^(٣١)

ويقول أيضا : " لأن الياء أخف من الواو عندهم ، ألا تراها أغلب على الواو من الواو عليها وهي أشبه بالألف "^(٣٢)

ويذكر أيضا : " وليس في بنات الياء (فعلت) كما أنه ليس في باب رميت فعلت وذلك لأن الياء أخف عليهم من الواو وأكثر تحويلا للواو من الواو لها ، وكرهوا أن ينقلوا الخفيف إلى ما يستثقلون "^(٣٣)

وقد نص القدمات ومنهم شارح الشافية عن أن الواو أثقل حروف العلة. فعلى القلب بقوله : " فقلبت إلى حرف أخف من الواو وهو الياء "^(٣٤)

والضمة بمنزلة الواو في الثقل يقول ابن عصفور : " الضمة بمنزلة الواو... فإذا كانت الواو مضمومة ، فإنه قد اجتمع لك واوان "^(٣٥)

ومما يؤكد تنامي ثقل الواو يقول الرضي : " فقلبت الواو إلى ياء سواء تقدمت الواو أو تأخرت ، وإن كان القياس في إدغام المتقاربين ، قلب الأول إلى الثاني ، وإنما فعل ذلك ليحصل التخفيف المقصود ، لأن الواو والياء ليسا بأثقل من الواو المضعفة "^(٣٦)

ويذكر موضع آخر : " حروف العلة الثلاثة ، فيقلب أثقلها أي الواو إلى ما يجانس حركة ما قبلها أي الياء "^(٣٧)

المتتبع للنصوص السابقة يجد أن الناطق العربي يلجأ إلى السهولة النطقية ، بمعنى أن الثقل والخفة طبيعة إنتاجية ، فهي عبارة عن مجهود عضلي ينجم عن تداخل أعضاء النطق وهذه القوانين البنيوية للغة العربية ليست ثوابت بمعنى ليست قوانين كيميائية وإنما ظواهر نطقية يمكن أن تفسر حسب قانون الخفة والثقل.

وقد تتبعت مواضع عكسية وهي قلب الياء إلى واو في المظان اللغوية فوجدت - حسب رأينا - أن القلب ناتج عن القوة والضعف وليس عن الخفة والثقل بمعنى أن الياء إذا سكنت وضم ما قبلها قلبت إلى واو على سبيل المثال لا الحصر. ولكن في

مثل هذه البنية لم تقلب إلى واو وإنما قلبت إلى حركة قصيرة من جنس الحركة السابقة وذلك لأن الياء سكنت والسكون موت للصوت

مثل : ميسر muysir ← موسر muu/sir

ميغن muy/qin ← موغن muu/qin

والموقعية والسكون أديا إلى ضعف الصامت (الياء) فقلب إلى حركة قصيرة من جنس الحركة السابقة عليه.

وهناك حالة أخرى تقلب فيها الياء إلى واو في الصفة والعكس في الاسم وذلك لأن الصفة أثقل فعمد الناطق إلى تحقيق التوازي في البنية فقلبت الياء في الاسم إلى واو والعكس في الصفة يقول الرضي: " وفعل ياء فعل صفة كحيكى... لحفة الألف، مع قصد الفرق بين فعلى اسما وبينها صفة، والصفة أثقل، والتخفيف بها أولى، فقلب طوبى في الاسم وضيضى في الصفة " (٣٨)

فالواو والياء في مثل البنية السابقة قامت بوظيفة تمييزية من جهة، وإحلال التوازن في التشكلات البنيوية من جهة أخرى.

ومن الأمور اللافتة للنظر في القوانين الصرفية قلب الواو والياء إلى ألف في الأجوف والناقص إذا تحركتا وفتح ما قبلهما وهذا الكلام فيه شطط، لأن الواو والياء إذا تحركتا وفتح ما قبلهما قل ثقلهما، إن كل ما جرى في مثل هذه البنى وما جاء على شاكلتها هو اسقاط نصف الحركة الواو أو الياء وذلك لثقل توالي الحركات وأنصافها والتشكلات الصوتية الآتية تبين ذلك:

قول qawala ← قال qaa/la

بيع bayaca ← باع baa/ca

دعو da cawa ← دعا da caa

رمي ramaya ← رمى ramaa

يذكر بكوش أن الواو والياء تسقطان إذا وقعتا بين مصوتات يقول: " تسقط الواو والياء بين حركتين قصيرتين " (٣٩)

ويقول داوود عبده: " ما طرأ على كلمة قول حين أصبحت قال، وبيع حين أصبحت باع يمكن تفسيره بما يلي:

أولاً: تحذف الواو والياء إذا وقعتا بين حركتين متماثلتين، أي مدين قصيرين متماثلين.

ثانياً: ينتج عن المدين القصيرين وقد أصبحا متوالين بعد سقوط الواو والياء مد طويل من جنسهما، فإذا كان المدان القصيران فتحتين نتج عنهما فتحة طويلة... وإذا كانا ضميتين نتج عنهما ضمة طويلة وإن كانا كسرتين نتج عنهما كسرة طويلة " (٤٠)

نحن نتفق مع الآراء السابقة بأن الواو والياء تسقطان، وذلك ليس لوقوعهما بين صائتين قصيرين بل لأن الطبيعة الإنتاجية تختلف، لأن الواو والياء هنا نصفاً حركة، وهما من الناحية الفوناتيكية ينقصهما بعض خصائص الصوامت، لذا لا يوجد علاقة صوتية بين الياء والواو من جهة والألف من جهة أخرى، لأن الألف فتحة طويلة وهي لها خصائصها الصوتية والإنتاجية المغايرة للواو والياء، والحذف وقع بسبب الثقل الناجم من توالي الحركات وأنصافها. فلا وجود لقلب الواو والياء إلى ألف كما ذكر الصرفيون.

ثالثاً: التفاوت التأثيري

تفاوتت الصوائت في العربية فيما بينها ليست في الكمية والطبيعة الإنتاجية فقط وإنما في التأثير الذي يتولد من صفتي القوة والضعف فهي ليست متساوية في تأثيرها، أي في قوتها وضعفها وقد عمد اللغويون إلى ترتيب الصوائت حسب هذا المعيار كما يأتي:

الكسرة ، الضمة ، الفتحة ، السكون إذا اعتبرنا الأخيرة حركة ، ولم يذكر اللغويون الصوائت الطويلة وهي الياء المدية والواو المدية والألف وذلك لأنهم لم يعدوها من قبيل الحركات لاتفاقها في الرسم الكتابي مع الواو والياء اللينتين ، علاوة على أنها تدخل في جذر الكلمة أعني الواو والياء دون الألف. ومن مظاهر التفاوت التأثيري ما يأتي

١ - كتابة الهمزة: عجت كتب الإملاء في قواعد كتابة الهمزة ، والمعيار الصحيح لكتابتها يعتمد على قوة الحركات. والكسرة أقوى الحركات ، فلذلك تضعف أمامها باقي الحركات ، فإذا كانت الهمزة مكسورة وما قبلها مضموماً أو مفتوحاً أو ساكناً فإنها تكتب على نبرة سواء أكانت الكسرة للهمزة نفسها أم للحرف السابق عليها. وتكتب الهمزة على واو إذا حركت الهمزة بالفتح أو الضم أو سكنت وقبلها مضموم أو ضمت نفسها وفتح ما قبلها أو ضم أو سكن. لا ذكر للكسرة هنا لأنها أقوى من الضمة. وعن كتابتها على ألف لا يرد الكسر والضم لأنهما أقوى من الفتح ، وكتب الإملاء لم تأل جهداً في تفصيل هذه القواعد.

٢ - قلب الواو إلى ياء: إن جل باب الإعلال يقوم على قوة الحركات ، أي بحسب الصوت الأقوى وقلب الواو إلى ياء من هذا القبيل ، لأن الياء حركة طويلة وما ينطبق على الكسرة ينطبق عليها وقلب الواو إلى ياء في البنى الصرفية المختلفة متولد من الكسرة التي أثرت في الواو فقلبتها إلى ياء كما يرى القدماء. وقد أوردت كتب الصرف المواضع التي تقلب فيها الواو إلى ياء ، ولا داعي إلى ذكرها لأنها تعتبر من قبيل الاجترار^(٤١). ويمكن تفسير مثل هذه البنى الصرفية والتغيرات البنوية حسب قانون التأثير الناجم عن قوة الكسرة وأختها الياء. من جهة والصعوبة الانتقالية من جهة أخرى ومن الأمثلة على قلب الواو إلى ياء ما يأتي:

موزان ← ميزان

موعاد ← ميعاد

موقات ← ميقات

فقد وقعت الواو بوصفها نصف حركة ساكنة في نهاية مقطع ، إضافة إلى أن الواو سبقت بكسرة فكانت معها صوتاً

انتقالياً

miwzaan -----miizaan

miwcaad-----miicaad

miwqaat-----miiqaat

لقد أثرت الكسرة القصيرة التي شغلت قمة المقطع في الواو الضعيفة في ذاتها وضعيفة في موقعها وسكونها أقوال أثرت تأثيراً تقدمياً فحولتها إلى جنسها ، أي إلى لكسرة قصيرة كونت مع الكسرة القصيرة السابقة عليها كسرة طويلة ، وهذا ناجم عن قوة الكسرة لأن الكسرة أقوى الحركات علاوة على أن الواو أثقل حروف العلة يقول الرضي " الواو أثقل حروف العلة "^(٤٢). ولتأكيد القاعدة نضرب المثال الآتي:

قَوْم - - - - - قِيم

سَواط - - - - - سِياط

وتبين لنا الكتابة الصوتية التغيرات الحقيقية للبنى اللغوية السابقة:

qiwam-----qiyam

siwaat-----siyaat

فقد أثرت الكسرة في الواو وقلبتها إلى ياء نصف حركة لتناسب الكسرة القصيرة وهي من جنسها وقريبة من مخرجها. فتخلص الناطق من الصعوبة الانتقالية من جهة ومن ثقل الواو من جهة أخرى ، علاوة على أن الكسرة أقوى من الواو فتأثرت بها

فحولتها، يقول هنري فليش: "عندما تلتقي الواو بالكسرة قد يحدث أن ترى نوعاً من تكلف النطق وثقله، فلكي تنطق بالواو، تستدير الشفتان، ولكي تنطق بالياء يحدث العكس فتفرجان" (٤٣)

يتبين لنا من البنى السابقة أن الواو وقعت إثر الكسرة والكسرة أقوى الحركات، بالإضافة إلى أن الكسرة تخرج من منطقة أمامية في حين تخرج نصف الحركة الواو من منطقة شبه خلفية، وفي هذا الانتقال صعوبة في النطق. فيلجأ الناطق إلى التخلص من هذه الصعوبة بقلب نصف الحركة الواو إلى نصف حركة قريبة من الكسرة لأحداث تجانس بين الأصوات المجاورة إن الأمثلة السابقة وما جاء على شاكلتها تبرهن قوة الكسرة وتبين تأثيرها في الواو وتحويلها إما إلى كسرة من جنسها أو نصف حركة قريبة من الكسرة.

الخاتمة:

لقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج منها: أن الحركات تتفاوت فيما بينها من حيث الزمن والتأثير والإنتاج.

علاوة على أن طول الحركة يتأثر بما يجاوره من أصوات، وأن الحركة الطويلة ليست بالضرورة أن تساوي ضعف الحركة القصيرة زمنياً.

إضافة إلى ما سبق فإن القدماء لم يوظفوا الحركات الطويلة في تفسير بعض السلوكيات الصرفية. وقد أوقعهم هذا في الخطأ والخلط.

وأخيراً فإن الحركات الطويلة في تبدلاتها تعتمد على البنية المقطعية من جهة وقانو القوة من جهة أخرى.

الهوامش:

- ١- ابن جني، سر صناعة الأعراب، ١٩/١
- ٢- المصدر نفسه، ١٧/١
- ٣- ابن جني، الخصائص، ٣١٥/٢
- ٤- عيده، داوود، دراسات في علم الأصوات، ص ٣١
- ٥- ينظر، القرالة، زيد، الحركات في اللغة العربية، ص ٤١-٤٢ بتصرف
- ٦- ماليرج، برنيل، علم الاصوات، ص ١٠١
- ٧- القرالة زيد، الحركات في اللغة العربية، ص ٤٣-٤٤
- ٨- عيده، داوود، دراسات في علم الأصوات العربية، ص ٣١
- ٩- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص ١٥٨
- ١٠- النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص ١٩٢
- ١١- الحموي، أحمد، محاولة ألسنة في الإعلال، مجلة عالم الفكر، حج ٢٠، ع ٣٩٤
- ١٢- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص ١٥٨
- ١٣- المرجع نفسه، ص ١٥٩
- ١٤- ابن جني، الخصائص، ١٢٥/٣
- ١٥- ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، ص ٥٨
- ١٦- ينظر: حسنين، صلاح الدين، المدخل إلى علم الأصوات، دراسة مقارنة، ص ٤١
- ١٧- ينظر: القرالة، زيد، الحركات في اللغة العربية، ص ٢٥-٦٠ بتصرف
- ١٨- ابن جني، الخصائص، ١٢٦/٣
- ١٩- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص ١٥٩
- ٢٠- القرالة، زيد، الحركات في اللغة العربية، ص ٢٥-٦٠ بتصرف
- ٢١- ابن جني، الخصائص، ١٢٥/٣
- ٢٢- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص ١٥٨

- ٢٣- سيبويه، الكتاب، ٤/٤٣٥-٤٣٦
 ٢٤- ابن جني، الخصائص، ١٨/٣
 ٢٥- الإستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، ٢٦١/٣
 ٢٦- بشر كمال، علم اللغة العام، ص ١٦٩-١٧٠
 ٢٧- عبد الجليل، عبد القادر، الأصوات اللغوية، ص ١٠٨
 ٢٨- سيبويه، الكتاب، ٤/٣٣٣
 ٢٩- ابن جني، سر صناعة الإعراب، ٩٨/١
 ٣٠- سيبويه، الكتاب، ٤/٣٣٥
 ٣١- المصدر نفسه، ٤/٣٣٦
 ٣٢- المصدر نفسه، ٤/٣٣٨
 ٣٣- المصدر نفسه، ٤/٣٤١
 ٣٤- الإستراباذي، شرح الشافية، ١٦٧/٣
 ٣٥- ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٣٣٣/١
 ٣٦- الإستراباذي، شرح الشافية، ٣/١٤٠
 ٣٧- المرجع نفسه، ٣/١٣٨
 ٣٨- المرجع نفسه، ٢/٤٣٦-٤٣٧
 ٣٩- بكوش، الطبيب، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص ٤٥
 ٤٠- عبده، داوود، أبحاث في اللغة العربية، ص ٣٧، دراسات في علم أصوات العربية ص ٣٣-٣٤
 ٤١- ينظر، سبيل المثال: سيبويه، الكتاب ٤/٣٦٠ وما بعدها، وابن جني المنصف، ص ٣٨، وابن عصفور، الممتع في التصريف، ٤٧١/٢، وابن يعيش، شرح المفصل، ٨٧/١٠
 ٤٢- الإستراباذي، شرح الشافية، ٣/٧٦
 ٤٣- فليش، هنري، العربية الفصحى، ص ٢٠٤

المصادر والمراجع:

- ١- الإستراباذي، رضي الدين، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن واخرين، بيروت، دار الكتب العلمية، دت
 ٢- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ط٧، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٠
 ٣- بشر، كمال، علم اللغة العام، الأصوات، القاهرة، دار المعارف ١٩٨٠
 ٤- بكوش، الطبيب، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ط٢، تونس، المطبعة العربية، ١٩٨٧ م.
 ٥- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق، محمد علي النجار، ط٣، لبنان: دار الكتاب العربي، ١٩٨٦
 ٦- —، سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هنداي، دمشق: دار القلم، ١٩٨٥
 ٧- —، المنصف، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، القاهرة: مكتبة مصطفى الحلبي، ١٩٥٤ م.
 ٨- حسنين، صلاح الدين، المدخل إلى علم الأصوات _ دراسة مقارنة، دار الاتحاد العربي للطباعة، ١٩٨١ م
 ٩- الحموي، أحمد، محاولة ألسنية في الإعلال، مجلة عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الثالث، الكويت، ١٩٨٩
 ١٠- سيبويه، أبو بشر، عمرو بن عثمان، الكتاب، عبد السلام هارون، ط٣، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٣
 ١١- ابن سينا، أبو علي الحسين، رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق: محمد الطيان، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٣ م.
 ١٢- عبد الجليل، عبد القادر، الأصوات اللغوية، عمان: دار الصفاء، ١٩٩٨ م.
 ١٣- عبده، داود، أبحاث في اللغة العربية، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٣
 ١٤- —، دراسات في علم الاصوات العربية، الكويت: مؤسسة الصباح، ١٩٧٠ م
 ١٥- ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن، الممتع في التصريف، ط٣، تحقيق: فخر الدين ميادة، بيروت: دار الأفق الجديدة، ١٩٧٨ م.

- ١٦- فليش، هنري، العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، تحقيق وتعريب: عبد الصبور شاهين، بيروت: دار الشرق، ١٩٨٣م.
- ١٧- القرالة، زيد، الحركات في اللغة العربية، دراسة في التشكيل الصوتي، اريد: عالم الكتب الحديثة، ٢٠٠٤
- ١٨- مالبرج، برتيل، علم الأصوات تعريب ودراسة عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، ١٩٨٤م.
- ١٩- النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، عمان: مطبوعات جامعة القدس المفتوحة، ١٩٩٧م.
- ٢٠- ابن يعيش، أبو البقاء، شرح المفصل، بيروت: عالم الكتب، القاهرة: مكتبة المنتهى. د.ت.
